P

US POSTAGE AND FEES PAID
PRIORITY MAIL
Sep 12 2019
Mailed from ZIP 78746
1 lb Priority Mail Rate
Zone 7
CID: 21758
Commercial Plus Pricing

www.zuabi.net

NATHEER Z

DICTIONARY OF THINGS

SHIP TO:
TAKWEEN BOOKSTORE
Shuwaikh Industrial, Kuwait

0004
Order: 251515

معجم الأشياء

نذير الزعبي

USPS TRACKING #

0405 5102 0083 0101 0464 77

FRAGILE

قصص قصيرة
Short stories

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

معجم الأشياء

نذير الزعبي

قصص قصيرة

الكاتب: **نذير الزعبي**

عنوان الكتاب: **معجم الأشياء**

تصميم الغلاف: نذير الزعبي

تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 978-9921-723-41-0

الطبعة الأولى - سبتمبر / أيلول - 2019

1000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 40 04 81 98 965 +
بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 60 58 00 11 78 964 +
publishing@takweenkw.com
takweenkw
www.takweenkw.com
@takweenKw

مقدمة

- «الشيءُ : الموجود. ما يُتصوَّر ويُخبَر عنه».

المعجم الوسيط

- «الشيءُ : ما كان جامداً لا حراك به، ما ليس حياً. جوهرٌ أو كيانٌ مجرّد يدلُّ على حدثٍ أو فعل».

المعجم الرائد

- «الشيءُ: اسم لأيّ موجودٍ ثابت متحقّق يصحّ أن يُتصوَّر ويُخبر عنه سواء أكان حسِّيًّا أم معنويًّا».

معجم اللغة العربية المعاصر

- «الشيءُ: ربما نحن».

معجم الأشياء

المرآة الجانبية التي تحب الشعر

«الأجسام الظاهرة في المرآة تبدو أصغر وأبعد مما هي عليه في الواقع».

لطالما ظنت المرآةُ الجانبية، بأن العبارة المكتوبة عليها نصٌّ شعريّ. لذا كان يطيب لها ترديدها في المشاوير الطويلة بأساليب إلقاءٍ متنوعة لتزجية الوقت.

في المشاوير الليلية، غالباً ما يكون الإلقاء حزيناً إذا كانت ليلةً شتوية، ويكون رومانسياً حالماً في ليالي الصيف. أما في المشاوير الصباحية، فكانت تستوحي طريقة الإلقاء مما يمر فيها من انعكاسات الصور. فإذا رأت مركبةً عسكرية جاء الإلقاء حماسياً، بينما سيارة نقل الموتى فتناسبها النبرة الجنائزيّة، وهكذا..

في الجانب المقابل من السيارة، كانت المرآة اليسرى التي لم تحظ بأي نصٍّ مكتوب، تُنصت إلى شقيقتها بكثيرٍ من الأسى. «ألم يخطر ببالهم أنّ المرايا تغار؟!» كانت تناجي نفسها على الدوام.

ذات صباحٍ شتويّ، وبينما كانت السيارة متوقفة على الإشارة الحمراء، كانت المرآة اليمنى عاكفةً على تأليف لحنٍ لنصها الشعريّ ذاك، كي تغنيه في الربيع.

«مَن صاحبُ النص؟» باغتتها شقيقتها، فأوقعتها عن حبل ألحانها الذي كانت تترنح فوقه.

ودّت أن تلتفتَ إليها لترميها بنظرة احتقار، لكن هذا لم يكن ممكناً بكل تأكيد.

«أنا صاحبته!» أجابت بنزق، بينما تطالع الطريقَ خلفها.

«لا. بل عنيتُ من هو مؤلفه؟».

«بالطبع أنا!» أرادت أن تجيب.

غير أن الشاحنة المسرعة المندفعة نحوها في تلك اللحظة، كانت أقربَ مما تبدو عليه في المرآة.

الهواجس الأمنية لمنفضة السجائر العمومية

اعتادت منفضةُ السجائر العمومية مراقبةَ الناس كما تفعل الكاميرات الأمنية.

كانت قد حاولت بداية الأمر، حين نُصبت على الرصيف، إسداءَ النصح إلى من يقف إزاءها من المدخنين، مبينةً لهم مضار هذه العادة السيئة على صحتهم. لكنها ما لبثت أن أدركت أن المدخن لا يمكنه سماعُ الصفيح.

كيف يوكلون مهمة خدمة أحدهم لمن لا يمكنه التحدث إليه؟ كانت تتساءل على الدوام، إلى أن قررت الاكتفاءَ أخيراً بنظرة إشفاق ترمي بها كلَّ مدخنٍ يمرُّ عليها. وظلت على هذه الحال، إلى أن تلقّت ذات صباح بصقةً لزجةً على رأسها من رجلٍ غير مدخن.

كانت تلك أولَ بصقةٍ تتلقاها، وأولَ مُحرضٍ لولادة حلمها بأن تصير، ذات يوم، كاميرا مراقبةٍ أمنيّة.

حبسُ جريدتين

ظلت جريدة اليوم حبيسةَ صندوق الاشتراك. وفي اليوم التالي، وضع موزع الصحف جريدةً أخرى.

تبادلت الجريدتان التحية، وراحتا تتداولان ما لديهما من أخبار لتزجية الوقت ريثما تخرجان.

لكنّ أُنسة المساجين تلك، لم تلبث أن تحوّلت إلى معركةٍ مُحتدمة حول أيهما التي تحمل الأخبارَ الأكثر جذباً لصاحب المنزل.

فيما خبرُ وفاته، حملته الجريدة التي أُلقيت خارج الصندوق.

ما قالته قائدة الكتيبة لمجنداتها في علبة السجائر

«لا تتركن للهلع سبيلاً إلى قلوبكن. فما خُلقنا إلا لنحترق بأسرع وسيلةٍ ممكنة.

لن تعيش أطولنا عمراً حتى انقضاء هذا اليوم. لا تخدعنّكن طراوة الحياة في أجسادكن، فإنما جُعِل التبغُ النديُّ في أحشائنا كي يستحيل إلى دخان يضيعُ في جوف االعدم.

إياكن والأماني الساذجة. من كانت تُمنّي نفسها بأن تنمو لها أغصانٌ تحطُّ عليها العصافير الصغيرة، فلتستيقظ من أوهامها. لستِ شجرةً يا عزيزتي! وإن كان لكِ شكلُ جذوع الأشجار.

سيحدث كل شيء في طرفة عين: تنفتح العلبة، تُنتشل إحدانا، تكبَّلُ ساقها بشفتين ناشفتين، يلتهم اللهبُ رأسَها، فينتهي كلُّ شيء».

ضربت مركبَ الصياد موجةٌ عالية، أوقعت من يده علبة السجائر في لجة البحر قبل أن يفتحها.

«لا تتركن للهلع سبيلاً إلى قلوبكن. فما خُلقنا إلا لنغرق بأسرع وسيلةٍ ممكنة...».

قلادةٌ في الدرج البعيد

«سأشتاق إليك» قال نصف القلادة لتوأمه بأسىً بينما تفصلهما عن بعضهما أصابعُ خشنة.

«لن يطول غيابي» قال صاحب الأصابع الخشنة بينما يُعلِّق أحدَ التوأمين بسلسلةٍ طوّقت عنق الفتاة.

«كم اشتقتُ إليك!» قال نصف القلادة على صدر الفتاة في شرود، بينما يرتجف توأمه في عتمة الدُّرج في مكانٍ بعيد، وهو يسمع صاحب الأصابع الخشنة يقول من جديد:

«لن يطول غيابي».

هاتريك

الكرة التي احتفظ بها اللاعب الشهير بعد المباراة، لم يكن قد سجَّل بها أياً من أهدافه الثلاثة. غير أنها دخلت فاترينة دروعه بخيلاء كأس بطولةٍ كبرى، فما كان من الدروع سوى الإعراض عنها بعد أن رأت منها تغطرسَها البغيض.

في حقيقة الأمر، لم تحفل الكرة بالعزلة التي فُرضت عليها، بل إنها ضحكت مكابرةً وأقسمت أن لن يُسمع صوتها بعد اليوم. وما كانت لتحنث بقسمها ذاك، لولا أن انضمَّت إلى الفاترينة أخيراً كرة هاتريك أخرى، فهمست لها بعد أن اطمأنت إلى نوم الدروع:

«كيف هو إحساسُ لمس الشِّباك؟».

فُرشاة الأسنان لا تحفلُ بطعم المعجون

فرشاة أسنانٍ زرقاء بجانب فرشاةٍ زهرية في سلة التسوق.

«يُقال بأن فم المرأة حلوٌ على الدوام» تقول الفرشاة الزهرية باسمةً في شرود.

«وفم الرجل مرٌّ مثل تبغه..» تغمغم الزرقاء.

صباح اليوم التالي، وبينما هما مُبتلّتان في وعاءٍ فوق المغسلة، سألت الفرشاة الزهرية رفيقتها:

«هل كان مُراً حقاً؟».

«لا. لقد كان بحلاوة الشهد!» أجابت الزرقاء. «ماذا عن فم المرأة؟» تساءلت بدورها.

«لم أذقه بعد. لقد غسلتني من المعجون وأعادتني إلى الوعاء، مكتفيةً بالقبلة التي باغتها بها بينما كانت تهمُّ بتفريش أسنانها».

حنينُ مدفأة

حلَّ فصلُ الشتاء أخيراً، فأُنزِلت المدفأة الكهربائية عن سقيفة المنزل.

لم ترَ المدفأةُ السيدةَ التي اعتادت أن تكون أولَ من يشغِّلها كلَّ شتاء. انتظرت ظهورَها في اليوم التالي، ثم في اليوم الذي تلاه، إلى أن انقضى الشتاء بأكمله من غير أن تراها.

«أعِد المدفأة إلى السقيفة» قال ربُّ المنزل لولده بصوتٍ كئيب.

«عليكِ اللعنة! كيف غدوتِ ثقيلةً هكذا؟» غمغم الفتى فوق السلّم.

الحالة الجوّية لمشاعر مسّاحتين

تتناوب المسّاحتان على اللحاق ببعضهما، دون أن تدرك أيٌّ منهما الأخرى. يتوقف المطر فتتوقفان. يعود المطر فتستأنفان االلعبة.

ينقضي الشتاء فتخلدان إلى سباتٍ طويل.

فراشةٌ ملونة.

شمسٌ حارقة.

أوراق قيقبٍ يابسة تحط على جسديهما الممدين كسلك الكهرباء.

هكذا تكون أحلامهما.

يعود الشتاء أخيراً، فتستيقظان وتبدآن العدو.

«كان ليلاً طويلاً» تقول إحداهما.

«كان حلماً جميلاً» تقول التي قصّت عليها ورقةُ القيقب الحمراء حكايةَ الانعتاق.

اللوحة التي لم تقابل تمثالاً من قبل

- صباح الخير.
- صباح الخير.
- ألوانٌ جميلة!
- شكراً لكِ. أنا أيضاً أحببت شجرة الكستناء في زاويتك.
- إنها شجرة بلوط. لكن شكراً على الإطراء. منذ متى وأنتِ في هذا المتحف؟
- أعوام طويلة..
- ما حكاية ذلك الرجل؟
- أي رجل؟
- هذا الذي يقف بلا حراك في منتصف القاعة متطلعاً إلى السقف.
- ليس رجلاً! إنه تمثال.
- لم أفهم!
- ألم يكن راسمُكِ ينحتُ التماثيل؟
- كان يرسم وحسب. وفي بعض الأحيان كان يرقص ليلاً داخل المرسم بغير موسيقى كالمجانين.
- ألم يصدف أن رأيتِ تمثالاً من قبل؟
- كلا. لقد خرجتُ من المرسم إلى صالة منزلٍ أقمت فيه ما يربو على العشرين عاماً. ثم نُقلتُ إلى مزادٍ علني، ليحملوني بعدها إلى هذه القاعة.

لقد شُريت بثمنٍ بخس! يا للعار! ..

ألن تخبريني ما هو التمثال؟

- التمثال لوحة مثلنا، لكنه لوحةٌ مجسمة.

- لوحة مجسمة؟ يبدو أمراً مشوقاً! وهل يتحدث لغة اللوحات؟
- بكل تأكيد. لكن لا تحاولي التحدث إليه فلن يرد.
- وما الذي يمنعه؟
- قسوته.
- مممم نعم معك حق. يبدو مصنوعاً من حجر.
- لا. لا شأن للحجر بقسوته. بل انظري كم يشبه الإنسان..

الهاتف المحمول الذي فقد ذاكرته

ظل الهاتف المحمول مكفوءًا على وجهه فوق الطاولة، يستقبل الرسائل والإشعارات والاتصالات المتعاقبة التي لم تجد من يرد عليها لثلاثة أيام، إلى أن نفد شحنه أخيراً وانطفأ.

بعد مرور شهر، وُصل الهاتف بكابل الشحن. سرت الكهرباء في خلاياه الهامدة، فعاد إلى الحياة. لكن ذاكرته سرعان ما مُسحت، وانتُزعت من رأسه شريحة الاتصال فبقي مكانها فارغاً.

في محل بيع الهواتف، وجد نفسه ممدداً على ظهره بين الهواتف المستعملة، وقد أُلصِقت على وجهه البارد قصاصةٌ صغيرة.

«ما هذه الورقة؟» سأل سماعةً بيضاء أُلقيت على اللوح الزجاجيّ فوقه.

«يبدو بأنك لم تُبع من قبل كهاتفٍ مستعمل!» أجابت في مرح. «إنه سعرك الجديد..».

«وأين صاحبي القديم؟» تساءل في قلق.

«ألم يقوموا بمحوِ ذاكرتك؟» سألته متعجبةً.

«بلى. أظنهم فعلوا» أجاب ساهماً.

«فكيف تذكر إذن بأن لك صاحباً قديماً؟» قالت السماعة المرحة وقد ازدادت حيرتها.

«لا أعلم.. ربما كان عليهم محوُ وجهي المكتظ بدفء لمساته..».

الأحلام الوردية للقميص الأبيض

إثر عراكٍ لم يدُم لأكثر من دقيقتين، فقدَ القميصُ الأبيض ثلاثةً من أزراره دفعةً واحدة، وتمزّقت ياقته، وتلطخ ببقعة دمٍ كبيرة جهة الكتف.

لم تتردد الأم بإلقائه في فورها في سلة النفايات بعد أن اعتنت كما ينبغي بجراح ابنها الشرس.

داخل شاحنة القمامة في طريقها إلى مكب النفايات، كان القميص، الذي لم يعد أبيض بعد الآن، محشوراً بين الأقذار في الكيس الأسود، يتذكر بحسرةٍ كيف كان صباحَ الأمس بكامل نصاعته، يضوع منه عطرٌ زكيٌّ كلما أرجحه النسيم تحت حبل الغسيل.

وتذكّرَ في أسىً كبير، كيف ظن انفلاتَ أزراره، أول المشاجرة، بدايةً لتحرره.

خمسُ شقيقاتٍ على الرف ليلة التنزيلات

تدافعت النساءُ على المتجر تدافُعَ الجياع على فرنٍ يقدم خبزاً ساخناً بالمجّان. تخفيضاتٌ مذهلة وأسعارٌ لا تُصدّق!

مع حلول موعد الإغلاق كانت الرفوف خاليةً تماماً، باستثناء رفٍّ وحيد، عليه خمسُ زجاجات طلاء أظافر ذي لونٍ قبيح.

في عتمة المتجر المقفل، قالت إحداهن بعد أن تنهَّدت: «ألهذا الحد وجدنَ لوننا قبيحاً؟»

أجابت شقيقتها بغضب: «اللعنة عليهن! لم أتوقع أن يتمسّكن برتفّعهن عن شرائنا بعد أن صارت قيمة إحدانا أدنى من سعر قلم تظليل حقيرا!».

ضحكت زجاجةٌ ثالثة: «أحقاً؟! ألم ترَين أنفسكنّ في المرآة؟ لو كنت في مكانهن لأغمضت عينيّ فور وقوعها علينا كي لا ألوّث بصري».

فقالت الرابعة في شرود: «بلى..معكِ حق».

في عتمة المتجر المقفل، فوق أحد رفوفه، أربعُ زجاجاتٍ واجمات، وزجاجةٌ مبتسمة، سعيدةٌ بامتلائها الأبدي.

مين شاف الريموت؟

«ستكون أكثرَ شيءٍ يضيع في هذا المنزل، وأكثرَ شيءٍ سيعاودون إضاعته كلما عثروا عليه» قال التلفاز العجوز بصوته الأجشّ، محدِّثاً جهازَ التحكم الجديد في أول يوم عملٍ له داخل المنزل.

«ستعتاد الأمرَ فلا تقلق» أضاف التلفاز بعد أن تنبّهَ لاضطراب أزرار الريموت الجديد. ثم قال أخيراً، سارحاً من خلف شاشته السوداء بلوحةٍ سرياليةٍ على الحائط المقابل: «ستكفل لك هذه الحالة الغريبة على الأقل، بأن تظلَّ محطَّ اهتمام الجميع كلما تفرّقوا في أرجاء المنزل بحثاً عنك».

لم يضِع جهازُ التحكم بعد ذلك الخطاب الترحيبي سوى مرةٍ واحدة.

غير أن أحداً لم يبحث عنه.

كانوا جميعاً معه، تحت الركام.

الكرسيُّ الذي فقد أحدَ أرجله بسبب ضيفٍ سمين

تحت وطأة الضيف السمين على مائدة العشاء، انكسرت رجلُ كرسيٍّ خشبيّ، من كراسي طاولة الطعام، بعد أن استشرى بها نخرٌ قديم.

كان كسراً مُضاعفاً يستحيل إصلاحه. أدركت جميع الكراسي هذه الحقيقة فور وقوع الحادثة، غير أنها راحت تشدُّ من أزره مدّعيةً بأن الأمر هيِّن، وبأنّ أي نجارٍ مبتدئ سيكون قادراً على إعادة رجله المعطوبة إلى سابق عهدها دونما مشقّة.

صباح اليوم التالي، حمله صاحبُ المنزل وسط حزن رفاقه الذين أدركوا بأنها لحظة الوداع الأخير.

«أمره هيِّن» قال النجار المتمرّس مُعدلاً قلم الرصاص فوق أذنه. «سأبدله أرجلاً جديدة. عندي له أربعُ أرجلٍ مُذهّبة!».

وسط ذهول بقية الكراسي، عاد الكرسيّ في اليوم الموالي إلى المنزل.

وقف مسروراً في مكانه المعتاد تحت الطاولة. وبخجلٍ بائن، أطرق ينتظر سماع تهنئة رفاقه بالأرجل الجديدة البرّاقة.

غير أن نخراً ما، عقدَ ألسنتهم جميعاً.

الخطاف الذي لم يبتلعه العدم

لم يجُل بخاطر الخطّاف الذي كان مُعلقاً قُبيل لحظاتٍ بخيط الصنارة، أنّ فمَ إحدى فرائسه سيغدو سجناً أبدياً في طرفة عين.

قضمت السمكة العملاقة خيطَ الصياد بفكّها المسنون فقطعته دون عناء، وأكملت سعيها في الأعماق.

كان جوفها أشدَّ حلكةً من قاع البحر، فلم يستطع هدير الكائنات من حولها أن يرفع الهلع عن قلب الخطاف المغروس في فمها، وقد بات على يقين بأن هذا هو العدم.

خلال تجوالها قربَ القاع، مرت السمكة العملاقة بمرساةٍ صدِئة. سمع الخطاف أنين المرساة، فأصاخ السمع إلى هذيانها المتهدج كالبكاء.

كانت تقول بحرقة: «ليته كان العدم».

الملهاة المقشّية

فرحت المقشة بمهنتها الجديدة حين حوّلها المزارع إلى فزاعة. فلا غبار بعد اليوم، ولا أقذار. والأهم من كل هذا، أن زوجة الفلاح ستكف عن إيقاظها في كل صباح مع صياح الديك.

هذه حياةٌ تستحق أن تُعاش! فكرت المقشة الفزاعة بابتسامة رضاً في أول أيام عملها في الحقل.

«صباح الخير» قال عصفورٌ حطَّ على ذراعها الخشبية الممدودة.

«ما الذي تفعله هنا؟ عليك أن تخشاني، فأنا الآن فزاعة!» قالت متثائبةً وقد أيقظتها زقزقة العصفور.

«نعم معكِ حق، سأخاف بعد قليل. لكنني الآن بحاجة إلى بعض القش من رأسك، فزوجتي موشكةٌ على وضع بيضها».

«حسناً، خذ ما شئت وانصرف بسرعة قبل أن يرانا صاحب الحقل. ولا تنس أن تُظهِر بعض الخوف بينما تغادر!» قالت وعادت إلى نومها.

صباح اليوم التالي، أيقظها عصفورٌ آخر وأخذ من رأسها بعض القش لعشِّه وانصرفَ سريعاً متظاهراً بالخوف.

لم يمضِ سوى شهر على عملها في الحقل، إلا وكانت صلعاءَ بلا قشةٍ واحدة في رأسها.

اقتلع المزارعُ عصا المقشة الجرداء من أرضه، وألقاها بعيداً، وسط حيرة العصافير على الأغصان، التي لم تكن متأكدةً إن كان يتوجب عليها الآن التظاهرُ بالحزن.

ما لم تحسب الآلةُ الحاسبةُ حسابَه

بعد أن أتعبها طول الحساب، قررت الآلة الحاسبة الانتحار، فرسمت خطتها المحكمة.

أصابت الحيرة صاحبها إثر انطفائها المفاجئ برغم بطاريتها الجديدة، فراح يضغط الأزرار، بغير كلل، واحداً تلو الآخر، لعل سحراً ما يقع. ثم أخذ يضرب زر التشغيل بإبهامه بضراوة مسعفٍ متفانٍ في عمله يقوم بإنعاشٍ يدوي. لكن دون جدوى، فالشاشة مطفأة تماماً.

استسلم أخيراً وأعطى آلته المعطوبة -كما توقعَت- لطفله الذي يهوى فك الأجهزة الالكترونية. «خذ، إنها لك! افعل بها ما شئت» قال الرجل لابنه بينما يلقيها غير آسفٍ بين قدميه.

«ها هو الفناء أخيراً!» حدّثت الآلة الحاسبة نفسها باستسلامٍ خدِر، فيما تتراءى لها النهاية التي رسمتها: أحشاء منبوشة، شاشةٌ محطمة، وهيكلٌ خلا من أزراره التي تناثرت على الأرض وقد اختلطت قسمتها بضربها، وتطاير جمعُها بعيداً عن طرحها، ولم يعد لأكبر أرقامها أي قيمة وقد انكفأ على وجهه، شأنه تماماً شأن زر الصفر.

غير أن نهايتها المرجوّة تلك لم تقع، إذ اكتفى الصبي برميها كما هي في عتمة المخزن، بعد أن قرأ الكلمة على زر التشغيل (ON)مقلوبةً رأساً على عقب، فظنها تتوسله.

الصابونة التي عرفت كلَّ شيء

اعتادت الحنفية رؤية ألواح الصابون وهي تذوي تحت مائها الدفاق بلا هوادة حتى الفناء. لم تنظر إلى الأمر يوماً على أنه قتلٌ بطيء. فهي لا تعرف معنى القتل أصلاً!

لكنّ ضيفاً غامضاً حلَّ على الحمّام ذات ليلةٍ صيفية هادئة. كان يعرف معنى كل شيء. ويبدو أن سبباً وجيهاً قد دفعه إلى إخبار الحنفية بكل ما يعرفه.

لا أحد يعرف على وجه الدقة من كان ذلك الضيف، ولا كيف دخل الحمّام، ومتى غادره. غير أن الأكيد الوحيد من كل هذا، هو أن الحنفية منذ تلك الليلة لم تعد تسكب الماء.

أبدى السبّاك تعجُّبَه بعد أن تفقّد أجزاء الحنفية قطعةً إثر قطعة، وتحقق من خلو الماسورة التي تمدها بالماء من الترسبات. ثم نصح صاحبَ المنزل أخيراً أن يستبدلها بأخرى.

«خذها معك. فلم أعُد بحاجتها» قال صاحب المنزل للسباك بينما الأخير يلملم عُدّته بعد أن اختبر الحنفية الجديدة أمامه.

من حسن حظ صاحب المنزل، أن ذلك الضيف الغامض لم يخبر أحداً بما يعرفه سوى تلك الحنفية المطرودة.

لكن سوء حظه كان أشد، فالصابونة التي ستنزلق من يده عما قليل، وتستقر بين قدميه المبللتين في أرضية البانيو، كانت قد استرقت السمع إلى كل ما قاله الضيف الغريب، في تلك الليلة الهادئة.

القلم والممحاة

صار قلم الرصاص بطول إصبع دون أن تُمسَّ ممحاته، إذ اعتاد التلميذ الاعتماد على ممحاةٍ مستقلة. وظل على هذه الحال حتى لم يعد بوسعه استخدام ذلك القلم لفرط قِصره، فقرر استبداله بقلمٍ جديد.

«لكنّ هذا ليس عدلاً!» قالت ممحاة القلم ذاهلةً في سلة المهملات.

«وما الفرق بين الموت في مقتبل العمر وأرذله؟!» غمغم القلم الكهل مُتبرِّماً. وقبل أن تردَّ عليه، كانت يدُ التلميذ تسحبهما من جديد من داخل السلة.

«هذا هو الفرق!» قالت الممحاة للقلم الذي لم يعد سوى حاملٍ لها، بينما تمحو آخرَ ما خطّه من كلام.

مسرح الظلال لمنشر الغسيل

اعتاد منشرُ الغسيل أن يقصَّ على الملابس المبلولة بعضَ القصص ريثما تجفّ. كانت حكاياته ممتعةً على الدوام. فكانت الملابس كلما غادرت الغسّالةَ وركبت سلةَ الغسيل، تمضي إليه بسعادة التلاميذ في رحلةٍ مدرسية.

لكنّ جعبةَ الحكايات الجميلة مثل جرّة النوتيلا، سرعان ما تفرغ.

«ما هذه الشمس الحارقة! إنك لتشعر وكأنها موشكةٌ على ارتدائك من فرط قربها..» تذمر القميص المقلّم.

«ألا ينتهي هذا النهار أبداً؟!» قال قميص النوم الورديّ متثائباً.

«إنّ هذا النهار اللعين أطولُ من طريقٍ دولية!» انفجرت فردةُ الجوارب في وجه زوجها.

«لماذا لا ينشروننا ليلاً؟!» تساءل بنطال الجينز، بلكنةٍ أمريكيةٍ بائنة، بينما يحكُّ جيبه الخلفيّ محدقاً بالشمس.

«لمَ يتوجّب علينا دائماً البقاءُ معهم بانتظار أن يجفّوا جميعاً؟!» همس الكلسون الرجالي للسوتيانة بجانبه، وقد رآها قد جفت تماماً مثله.

أما منشر الغسيل، فقد كان مُطرقاً في صمته، يراقب تراقصَ ظلالها على الأرض تحته، قبل أن تغادره عما قليل، فلا يبقى له غيرُ ظله الذي يشبه قضبانَ زنزانة.

السيرة الذاتية لملعقة

«لم يكن في عقد عملي كلُّ هذا الهراء!» غمغمت الملعقة محتجةً وقد ضاق ذرعها بمالكها الجديد الذي راح يستعملها في كل أعمال المنزل. يفك بها برغياً، يهش على الذباب، يحفر تربة الأصيص للنبتة الجديدة، يحك بها ظهره، يدق برأسها الحائط إذا أزعجه سكان الشقة المجاورة. بالإضافة إلى الكثير من الأعمال الغريبة التي لا تُحصى.

غير أن الذي أثار حفيظتها حقاً، وأخرجها عن طورها، فجعلها تصرخ غاضبةً ذات نهارٍ صرخةً أجفلته، هو عندما أراد استخدامها في التطبيل.

يومُ انكسار المزهرية الحزين

كان يومُ انكسار المزهرية يوماً حزيناً على الجميع رغم توقع اقترابه.

كان الطفل قد بدأ يجيد الوقوف مستنداً إلى الطاولة، وسيتعلم قريباً كيف يتسلقها.

لم يكن خفياً على أحدٍ من سكان الصالة إعجاب الطفل بالوردة الوحيدة التي تضمها المزهرية. فتمثال الفيل الخزفي على الرف، والتحف النحاسيةُ خلف زجاج الڤاترينة، والسيف الفضي المعلق بجانب الدرع على الحائط، جميعهم لاحظوا كيف يضحك الطفل للوردة بابتهاجٍ كبير كلما رآها.

جاء اليوم المشؤوم إذن.

تمكن الطفل أخيراً من تسلق الطاولة، وحبا نحو وردته الحبيبة.

تعرّق الفيل الخزفي،

ارتجفت النحاسيات،

ودقَّ السيفُ درعَه في وجل.

أمسك الطفل بوردته وجذبها إليه، مالت المزهرية، وقعت على جنبها، وتدحرجت على الطاولة. لكن يد الأم امتدت إليها سريعاً وانتشلتها قُبيل سقوطها عن الحافة.

ضربت الأم طفلها على يده موبخةً. فبكى، وبكت وردته لبكائه، فانكسر في المزهرية شيءٌ لا يُرى..

في ذلك اليوم الحزين.

الحالةُ الخاصة للشاخصة الزرقاء

في موقف السيارات المخصص لذوي الإعاقة الحركية، لم تفهم الشاخصة الزرقاء معنى الرسم الذي تحمله، إلا حين اقتلعتها من سكونها الأزليّ ريحٌ عاتية.

ما لم ترَهُ مطفأة الحريق

كانت مطفأة الحريق تحت مقعد السائق تشاركه الاستماع إلى وصلةٍ من أغاني الـ (Slow Rock) التي تبثها محطته الإذاعية المفضلة.

«كم أحبُّ ذائقة هذا الرجل!» فكرت المطفأة بافتتان.

«تُرى كيف هو شكله؟» لطالما تساءلت متأملةً حذاءه الأنيق، إذ لم يسبق لها أن رأت غيرَ أحذيته.

لقد بلغ توقها إلى رؤية وجهه حدَّ تمنيها أن يشبَّ حريقٌ بسيارته.

وقد تحققت أمنيتها أخيراً. غير أنها تمنت لحظتها لو اكتفت برؤية أحذيته. إذ كانت أولُ كلمة تلقتها منه حين رأت وجهه، شتيمةً بذيئة، بعد أن أعجزهُ التعامل معها.

الحياة الليلية في خزانة الملابس الرجالية

كانت عُلّاقات الملابس في خزانة الرجل، تعقد الرهانات حول القميص الذي سيُرتدى في كل يوم.

كان باب المراهنة يُفتح عند انتصاف الليل، ثم يُغلق من جديد عند طلوع الفجر.

لم يكن في رهان سباق القمصان ذاك أيُّ قواعد أو شروط، باستثناء شرطين وحيدين: لا يجوز للعُلاقة المراهَنة على القميص الذي تحمله، ولا يجوز لها المراهنة على قميصٍ راهَن عليه غيرُها.

ذات يومٍ لم تزل ذكراه عالقةً بأخشاب الخزانة، أُغلق باب المراهنة فجراً، وبدأ ترقُّب انفتاح الدرفتين. كانت كل عُلاقة تُمنّي نفسها بأن تكسب هي الرهانَ هذه المرة.

مع كل دقيقةٍ تمضي، كان الحماس يزداد اشتعالاً، والترقب يحتدم.

فُتحت الدرفتان صباحاً، حُبست الأنفاس، امتدت يد الرجل، راحت تزيح العُلّاقات يميناً وشِمالاً، إلى أن سَحبت أخيراً عُلاقةً خالية، وسط اندهاش الجميع.

«ما الذي يحدث؟» تساءلت أحدى المراهِنات في قلق.

«هل يسخر منا هذا الغبي؟» صرخت التي راهنت على أوفَر القمصان حظاً بالفوز.

«هل ينوي ارتداءَ لا شيء؟» سخرت ثالثة.

لم تدم الحيرة طويلاً، إذ فُتحت الخزانة من جديد وأُعيدت العُلاقة إلى مكانها حاملةً قميصاً طويلاً لم تستطع العُلاقات إزاء شكله الغريب منعَ أنفسها من الضحك.

في حقيقة الأمر، كان ذلك القميص الغريب فستاناً، لكن كيف لعلاقاتٍ في خزانة رجل أن تعرف الفساتين؟

صار اسمه في المراهنات إذن: القميص الطويل.

تسابقت العُلّاقات على المراهنة عليه باعتباره قميصاً مميزاً، غير أن القميص الطويل لم يفز قط ولو لمرةٍ واحدة. فتوقف الجميع عن المراهنة عليه، باستثناء علاقةٍ واحدة، ظلت تصرّ على اختياره، خاسرةً رهانها في كل مرة.

«لماذا تُصرين على المراهنة عليه وأنت تعلمين باستحالة فوزه؟» سألتها العُلّاقة التي تحمله.

«ليس رهاناً بل أمنية. أما رأيتِ ابتسامة صاحبته؟».

عذاباتُ وسادة

فرِحت الوسادة بثوبها الجديد.

لم تكن سعادتها في حقيقة الأمر نابعةً من هوَسٍ بالتغيير. بل لأن صاحبها القذر لم يفكر مرةً بغسل ثوبها القديم منذ أن اشتراها.

ولأن السعادة مُعدية؛ بدأ صاحبُها القذر يرى في منامه أحلاماً سعيدة. ولأن السعادة لا تدوم حتى في الحكايات، بدأ الثوب الجديد يتسخ، وبدأت أحلامُ صاحب الوسادة تعود سيرتها الأولى. إلى أن عاوده أخيراً، الكابوس الذي حدا به سابقاً إلى تبديل ثوب وسادته:

وسادةٌ بثوبٍ متسخ، تجرُّه من شعره القذر، وترغمه على الاستحمام.

هشاشة الورق

احتفظت الفتاةُ بكوب القهوة الورقيّ، واصطحبته إلى منزلها، فاتخذته أصيصاً لزهرةٍ صفراء مصنوعة هي الأخرى من الورق، ووضعتهما على النافذة.

«سرعان ما ستدرك هذه الزهرة الندية أني لست سوى كوبٍ ورقيٍّ فور أن تذوق بقايا القهوة العالقة في قاعي حين تسقيها الفتاة» أخذ يحدِّث نفسه.

«سرعان ما سيدرك أني لست سوى زهرةٍ ورقية، حين يلاحظ أن الفتاة لا تسقيني» كانت تحدِّث نفسها بالمقابل.

لم تزل الأيام تمضي، وهو يحسَبُ وردته طبيعية، وهي تظن بأنه أصيصٌ حقيقي. إلى أن أمطرت ذات يوم بينما الشبّاك مفتوحٌ على مصراعيه.

كان المطرُ شديداً، فلم يُتِح لأيٍّ منهما أن يبوح بهشاشته للآخر قبل أن يُتلفهما معاً.

عمودُ الإنارة وقطةُ الأسود

احترقت لمبة عمود الإنارة في الشارع الخلفي، فلم يعد بمقدوره في تلك العتمة أن يرى القطط الساهرة في حاوية القمامة تحته. لكنه لم يكن بحاجةٍ حقاً إلى رؤيتها كي يستطيع التعرف عليها. فلكل قطةٍ مواؤها الشخصي الذي يدل على صاحبته كبصمةٍ صوتية.

«القط الأسود غائبٌ هذه الليلة» فكر عمودُ الإنارة، بينما لا يزال يشعر ببقايا الدُّوار الذي أصابه إثرَ احتراق لمبته.

«السهرة هادئة في غياب ذلك القط الشرس» غمغم متململاً.

«ها قد ألمَّ الضجر كعادتها بالقطة مقطوعة الذيل من أول السهرة» قال بابتسامةٍ كمِدة حين صدرت قرقعة علبة مشروبٍ غازيّ بجانب الحاوية، ثم أردف: «ستبدأ الآن بدحرجة العلبة»، فبدأت فعلاً بدحرجتها جيئةً وذهاباً.

«لو أن القط الأسود حاضرٌ الآن لزجَرها بزعقةٍ مُحذِّرة» قال في شرود.

سمع بعد هذا مواء القط الرمادي الهزيل إزاء جدار الحاوية، ليدخل البرتقالي معه في حوارٍ طويل، بينما يعلو ويخبو من داخل الحاوية صوتُ نبش أكياس النايلون، والذي قطعه فجأةً صوت ارتماء قطٍّ ثقيل على الأكياس.

«ها هو القط المرقط السمين ينضمّ إلى الأعور داخل الحاوية»

ماءَ كلا القطين مُواءً رتيباً، وكأنهما يتفاوضان حول حصص كلٍّ منهما من الغلة المتوقعة داخل الأكياس.

«لو كان القط الأسود حاضراً هذه الليلة لاكتفيا بما سيجود به عليهما من فضلاته» فكّر عمودُ الإنارة في ضيقٍ غريب، وكأن غياب ذلك القط الشرس، قد أثار في نفسه شيئاً أشدَّ وطأةً من غياب الإثارة التي اعتاد أن يُحدثها وجودُه.

«ما الذي منعه عن الحضور؟» تساءل في قلق، مصيخاً سمعه إلى أبعد نقطةٍ ممكنة في الحيّ من حوله، لعلّه يلتقط مواءه المضطرب عند حاويةٍ أخرى. لكنه لم يسمع سوى هدير شاحنة مرت مسرعةً على الطريق الشمالي، ونباح كلبٍ بعيد، بدا آتياً من ناحية الفرن الآلي في الحي الرابع.

وثب القطُّ الأعور إلى خارج الحاوية، فور أن أُلقي فيها كيس قمامة ممتلئ عن آخره، بينما فضّلَ القطُّ السمين، فيما يبدو، الانكماشَ في إحدى زوايا الحاوية.

سار الرجل ذو الخطى الزاحفة مبتعداً إلى أن غاب وقعُ انجرار حذائه المنزلي. فعاد القط الأعور سريعاً لمعاينة البضاعة الجديدة التي لم تشملها صفقة المُحاصصة.

وصلت شاحنةُ نقل القمامة فجراً، فانفضّت السهرة وعادت كلُّ قطةٍ إلى مسكنها.

«أرجو ألا يتأخر الأوغاد في تركيب اللمبة الجديدة كعادتهم» حدّث العمودُ نفسَه متثائباً، وقد استبدَّ به النُّعاس. «وأرجو ألا يكون قد أصاب القطَّ الأسود أيُّ مكروه..» غمغم في كدرٍ بينما يغفو.

طلعت شمسُ الصباح فاستيقظ عمودُ الإنارة. تطلّع تحته. لم يكن في الحاوية سوى كيسين، يبدو أنهما قد أُلقيا فيها بعد أن فرّغتها الشاحنة.

ولم يكن بجانب الحاوية سوى طابوقة الرصف السوداء.. التي تلعب في ليالي الوحدة الموحشة، دورَ قطٍّ أسودٍ شرس، في مخيّلة العمود.

الدبّاسة التي تمنّت أن تكون تمساحاً

نادراً ما كان يستعمل الدبّاسة الموضوعة على سطح مكتبه. لذا فإنها دائماً ما تكون ساهمةً في شاشة الحاسوب أمامها في شرودٍ أبديّ.

ذات يوم، بينما كان صحابها يُعدُّ بحثاً علمياً، فتح على Google صورة تمساحٍ أخرج رأسه من البِركة مُباعداً بين فكّيه.

«كم يشبهني هذا الحيوان!» صاحت الدبّاسة في ذهول فور أن رأته على الشاشة.

«ما أجمل الحياة هناك..» راحت تحدّث نفسها بحسرةٍ، بينما يُقلِّب صاحبها صورَ التماسيح في مواطنها المختلفة. إلى أن ظهرت صورة تمساحٍ أفريقيّ يفترس غزالاً.

«حسناً، عليه أن يأكل شيئاً ما في نهاية الأمر. فهو ليس آلةً حديديةً مثلي كي يكتفي بقضم الأوراق» فكّرت الدبّاسة.

بدأت تتعاقب الصور الدموية على الشاشة، ومع كل صورةٍ جديدة، كانت تتعاظم شهيتها لتذوّق الدماء:

تمساحٌ يفترس خنزيراً.

تمساحٌ يفترس حماراً وحشياً.

تمساحٌ يفترس جاموساً.

تمساحٌ يفترس قرداً صغيراً.

حقيبةٌ مصنوعة من جلد تمساح.

ما وقعَ للإطار على طريق المطار

«سنعود للجري أخيراً على الإسفلت!» هتف إطار السيارة المستعمل بحماس، بينما يُدحرَج جنباً إلى جنبٍ مع شقيقه.

«لا، بل إنهم..» ردّ شقيقه.

وُضع الإطاران في مقطورة الشاحنة الصغيرة وانطلقت بهما نحو الطريق السريع.

«أليس هذا طريق المطار؟» قال المتحمس بينما يعاين الطريق الممتد خلف الشاحنة.

«بلى» أجاب الآخر.

«هل ينوون إرسالنا إلى بلد آخر؟» تساءل وقد تصاعد حماسه.

«لا، بل إنهم..» أجابه.

توقفت الشاحنة أخيراً قبل أن تبلغ المطار. كان بانتظارها حشدٌ غفيرٌ من الرجال الغاضبين.

«لا أفهم شيئاً!» قال المتحمس بينما يُنزلان عن الشاحنة.

وُضعا بعد ذلك في منتصف الطريق، وصُبَّ عليهما الكاز.

«ما الذي يفعله هؤلاء المجانين؟» صرخ المتحمس في هلع.

«لقد أخبرتك! سيضرمون بنا النار احتجاجاً على أمرٍ ما» أجابه وقد بدأت رائحة الكاز تصيبه بالغثيان.

«لا! لم تخبرني!».

«بل أخبرتك مراراً، لكنّ صوت حماستك كان صاخباً».

تعذيبُ عملةٍ ورقية

نُسيَت ورقةُ النقود في جيب القميص عند وضعه في الغسالة.

كانت المرةَ الأولى التي تجرِّبُ فيها إحساسَ البلل، وأولَ مرةٍ أيضاً تذوقُ فيها مسحوقَ الغسيل. كان طعمُه لاذِعاً، بالكاد استطاعت تحمُّل مرارته المُغثِية في حجرة التعذيب تلك.

غير أن المرارة الأشد، والتي لم تقدر على تحمُّلها، كانت بعد أن خرجت وجفّت، وأدركت بأنّ صورة الطاغية المطبوعة عليها، لم يقوَ مسحوقُ الغسيل على إزالتها.

بقبقاتٌ على أنغام أم كلثوم

تقابلت النرجيلتان كما اعتادتا في كل أمسيةٍ يلعب العجوزان فيها طاولة الزهر. يتوجّب على كل نرجيلة أن تنتظر بدورها سحبةَ النفَس من صاحبها كي تستطيع الردَّ على بقبقة صديقتها.

«كيف حالك؟» بقبقت إحداهما مع أول سحبة من صاحبها.

«لا أظنني بخير. كيف حالك أنتِ؟» أجابتها مبقبقةً بعد نصف دقيقة.

«أنا أيضاً لست بخير. إن هذه..» كانت سحبة العجوز قصيرةً هذه المرة، فلم تُمدِها لإتمام عبارتها. لكنه لم يلبث أن تبِعها بسحبةٍ طويلة، فاستطاعت قول كل شيء.

«أنا أيضاً سئمت هذه الحياة» ردت صديقتها باقتضاب، ثم أردفت تبقبق بلا معنى إلى أن أنهى سحبته الماراثونية.

«ما الحل إذن؟» تساءلت الأخرى في سحبةٍ قصيرة جاءت بعد دقةتين.

هنا سحب العجوزان معاً سحبةً طويلة، فاكتفت النرجيلتان بالتأفف، إذ لن يكون ممكناً لأيٍّ منهما سماعُ ما تقوله الأخرى وسط اختلاط البقبقات.

«الحل؟ لا يمكننا فعلُ شيءٍ بكل تأكيد».

«أجل، صحيح.. اللعنة على هذه الحياة الكئيبة».

في حقيقة الأمر، كان حوارُهما السوداويُّ هذا، لا يدور إلا إذا كان العجوزان يفكران، بينما يلعبان في وجوم، باقتراب الموت.

الولاعةُ القاتلة

بدأ غازُ الولاعة يخبو. لم تكن من الصنف الذي يمكن إعادةُ تعبئته. لذا فإنها كانت مدركةً تماماً بأنّ نهايتها قد اقتربت.

لقد أنهت حياة مئات السجائر خلال خدمتها دون أن يرفَّ لها جفن. كانت تُساق لها الضحايا تِباعاً خلال اليوم، فتنفِثُ نارَها دونما تردد فور صدور الأمر، فتُنجَز المهمة.

لم تشعر بالذنب يوماً. لقد كانت تقوم بعملها وحسب، في مهنةٍ فُرضت عليها. كان من الممكن توظيفها في المطبخ، أو ربما في تحضير أدويةٍ للناس في المختبر، أو حتى في إشعال شموع كنيسةٍ للصلوات، لكنهم اختاروا لها مهنة القتل.

سيقت إليها ضحيةٌ جديدة. لم تكترث إلى توسلاتها التي اعتادت سماعها قبل كل إعدام.

صدر الأمرُ سريعاً. قدحت الشرارَ من حلقِها. قدحتهُ ثانيةً، فثالثة..

بكت الولاعة القاتلة كثيراً حين أُلقيت في سلة الزبالة.

لم تُبكها تلك النهاية المُخزية، إنما أبكاها عدمُ تمكُّنها من تنفيذ الأمر.

هالةٌ سوداء تحت منظار البندقية

يوقظها الهلع، كلما رأت البندقيةُ في نومها الأحلامَ التي قتلتها.

اعتزالُ صافرة

لو كان بمقدورها التصفيرُ من تلقاء نفسها أو الامتناعُ عنه على الأقل، وقتما تشاء، لما ترددت أن تفعل، كي تُرغِمه على استبدالها بصفّارةٍ أخرى، فتستريح إلى الأبد من رائحة فمه الكريهة.

كانت المبارياتُ كثيرةُ المخالفات بالنسبة إليها بمثابة كابوسٍ مريع، ولطالما تمنت وقوعَ كارثةٍ في الملعب كلما احتُسبت أشواطٌ إضافية.

«ما عدتُ قادرةً على احتمال هذا القرف!» غمغمت بينما يُعلقها الحكم صاحب النفَس الكريه في مكانها المعتاد داخل منزله.

«لن تكوني مُجبرةً عما قريب على تحمله» غمغمت الصفّارة القديمة المعلّقة بجانبها.

«ماذا تقصدين؟».

«سمعتُ زوجته تخبرُ ضيفتَها بينما أنتما في الملعب، بأنّ مباراته المقبلة ستكون آخر مباراةٍ يُديرها».

في الليلة تلك، بكت الصفّارة ذات الأنف المتقزز لأول مرة. ولم تزل تبكي في كل ليلةٍ، على رائحة العشب التي لم تعُد تشمُّها.

آخرُ ما استطاع الميكروفون التقاطه

كان عليه هذه المرة التقاطُ أصواتٍ أكثر أهميةً من صوتها.

لم يسبق له فعلُ هذا من قبل. لم يعتد سوى التقاط صوت المراسلة المبحوح على الدوام، والذي قد يُسمَع في خلفيته صوتُ دوريةٍ تمرُّ مسرعةً من خلفها في مدينةٍ مضطربة، أو بوقُ حافلةٍ كسولة في بلدةٍ هادئة، أو قرعُ طبول مهرجان سنويٍّ صاخب يرافقه هديرُ حشودٍ مبتهجة. لكنه هذه المرة، وبجانب صوتها المبحوح، كان عليه نقلُ عويل صافرات الإنذار، ودويِّ قصفٍ عنيف، وزعيقِ مقاتلاتٍ حربية تشق فوق رأسها جلدَ السماء الأسود.

لم يكن يعلم تماماً ما الذي يحدث حوله في تلك الليلة، فهو يعرف أحوالَ الأصوات وحسب، دون أن يعرف دلالاتها. لكنّ تهدُّج أنفاس المراسلة واختلاج صوتها، وارتجاف يدها الممسكة به، كلُّ هذا أيقظ بداخله شعوراً غريباً، لم يستطع فهمَ معانيه، رغم يقينه من مرور اسم ذلك الشعور الغريب، ذات يومٍ بعيد، عبر مسام غطاء رأسه الإسفنجيّ.

كانت المراسلة في بثٍّ مباشر من قلب المدينة لحظة بدء العملية العسكرية. كان لديها الوقت الكافي للانسحاب، لكنّ فرصتها الذهبية برقت بعينيها مع توهج أول انفجار. نصحها المذيع من داخل الاستديو، وتوسَّل إليها المصور مومئاً في هلعٍ من وراء الكاميرا. لكنّ بريق الفرصة كان أشد سطوةً من كل هذا، والقذيفة كانت أسرع من مراجعة القرار.

كانت يدُ المراسلة لا تزال ممسكةً به، رغم تدحرجه بعنفٍ على الإسفلت.

كان آخرُ صوتٍ استطاع التقاطه قبل أن يطير حاملاً يدَ المراسلة معه، صوتاً عظيماً صاعقاً، أصابه بالصمم.

الآن، وقد فقد الميكروفون سمعَهُ إلى الأبد، وبينما هو مرميٌّ على الإسفلت في يدها المبتورة، غارقاً بدمائها، استطاع فهمَ ذلك الشعور الغريب الذي اعتراه، وتبيُّنَ الاسم الذي يدل عليه من بين كل ما زرعته شفتاها من الكلمات في رأسه:

ر ع ب.

جيتارٌ تحت ثلج المدينة

كانت السماءُ لم تزل معتمةً رغم طلوع الشمس منذ ساعتين.

كانت قد سبقت طلوعَها ليلةٌ مثلجة، غير أنه كان ثلجاً حالم الإيقاع في تساقطه الوديع، فلم يمنع الناس من الخروج للاحتفال بالعام الجديد.

تحت عتمة الصباح تلك، تحت كساء الثلج، كان الجيتار مستلقياً في حضن صاحبه المشرد، في الممر العريض الخالي داخل النفق، بعد ليلةٍ جميلة لم تكن كسابقاتها من ليالي السنة، بالنسبة إلى الجيتار على الأقل.

لقد عاش ليلةً جميلةً حقاً، ليلةً ساحرة، وكأنه في حلم.

لم يدع صاحبه لحناً مُبهجاً إلا وعزفهُ في تلك الليلة. لم تكن بهجة الألحان بكل تأكيد هي سبب سعادة الجيتار، فهي ألحانٌ مكرورة سبق أن عزفها عليه مراراً في نفس المكان على مدار عامٍ كامل. لكنه كان يعزفها فيما سبق استجداءً لما يجود به المارّة من فائض قِطَع النقود في جيوبهم. أما هذه الليلة، فقد كان يعزفها ابتهاجاً وحسب. وقد كان ابتهاجه حلواً، لم يسبق للجيتار أن لمسه في أصابع صاحبه الحزينة على الدوام.

تحت عتمة الصباح تلك، تحت كساء الثلج، في الممر العريض الخالي داخل النفق، لم يفهم الجيتار سرَّ ابتهاج صاحبه المشرد في الليلة الماضية، إلا لحظةَ ارتجاف أوتاره، بينما يسحبونه من تحت يد الجثة المتجمدة.

غثيانُ جرّافة

بعد انتهائها من حفر قبرٍ جماعيّ، تلتقط الجرّافة أنفاسَها، وما تساقطَ من حجارةٍ من قلبِ سائقها.

اعتقال شهادةٍ ترتدي بروازاً أحمر

كانت مُعلقةً على جدار العيادة خلف لوحٍ زجاجيٍّ مُحاطٍ ببرواز من الخشب المصبوغ باللون الأحمر القاني.

لم تكن تعلم تماماً ما الذي كُتب عليها، لكنها استطاعت أن تستنتج بأن الكلام الذي تحمله على عاتقها هو الذي سمح للطبيب بممارسة مهنته.

كانت تراقبه، من خلف كرسيه، كيف ينهض باحترام كي يصافح المريض فور دخوله. ثم يبدأ بطرح أسئلته الدقيقة، قبل أن يدعوه إلى الاستلقاء على سرير المعاينة. ثم يعود إلى الكرسي من جديد، ليخبر المريضَ بالتشخيص، بينما يُدوِّن وصفةَ العلاج.

كانت فخورةً بنفسها دون شك. فالرجل الذي أهَّلته لممارسة مهنته يبدو طبيباً ماهراً، لم تسمع من مرضاه يوماً غير الثناء والامتنان. لا بد وأنه أيضاً فخور بها، بل وممتن لها جداً. إذ يحرص بنفسه على تلميع زجاج ردائها ذي الإطار القاني كل صباح.

مر شهرٌ كامل لم تُفتح العيادة، إلى أن دخلها ذات صباحٍ رجلان غريبان.

«عيادةٌ جميلة» قال أحدهما.

«بل جميلة جداً يا دكتور. وموقعها ممتاز كما لاحظتَ بلا شك. وهذا أهمُّ شيء».

«أجل، صحيح. هذا أهم شيء» قال الطبيب الجديد للسمسار بينما يتقدّم نحوها مبتسماً، إلى أن صار وجهه المربع على بُعدِ شبرين منها:

«ها هي، إذن، شهادته المزورة!».

التقويم النقدي لروزنامة الحصّالة

مع كل قطعةٍ نقدية تُسقَطُ في جوفها، كان أجلها يقترب يوماً إثر يوم.

لم تكن الحصّالة المعدنية تُجيد شيئاً غير الحساب. كانت في الحقيقة بارعةً به. فلم يلزمها سوى معاينة كل الفئات النقدية الممكنة، كي تستطيع بعد ذلك البدءَ بإجراء عملياتها الحسابية المعقدة، القائمة على قوانين الهندسة الفراغية وعلم الاحتمالات. والتي بناءً عليها، صار بمقدورها أن تستنتج كم تبقى لها من العمر، بعد أن تيقنت من ثبات نمط الادّخار الذي يتّبعه صاحبها، ما مكّنها من استبعاد كافة الاحتمالات التي لا تُحصى، والإبقاء على احتمالٍ وحيد، أفضى إلى علمها الأكيد بموعد آخر قطعة نقدية ستُسقط فيها لتمتلئ عن آخرها.. ما يعني انتهاء حياتها. استيقظت كعادتها صباحاً. قامت بمراجعةٍ أخيرة لحساباتها، فلم يتبدّل أيُّ شيء. مساءَ اليوم ستُسقط القطعةُ الأخيرة.

ظلت ساهمةً طوال اليوم، لا تفكر بأي شيء. فلا الحياة الرتيبة التي عاشتها تستحق التأمل والاستحضار، ولا اقتراب نهايتها يستوجب الضيقَ والغم. لقد أمضت حياتها في حساب ما تبقى لها منها. ولم يكن في حياتها أحدٌ غير صاحبها الذي لم يُحضرها إلى منزله إلا لأجل هذا اليوم؛ يومها الأخير!

سيضع مساء اليوم، كعادته، قطعةً نقديةً جديدة. سيكتشف أنها آخرُ قطعةٍ ممكنة، وأن حصالته قد امتلأت. سيسارع إلى إحضار فتاحة العُلب المعدنية، فيفتحها من قعرها الدائري، ثم يُلقيها في سلة المهملات بعد أن يسكب ما بداخلها من نقودٍ على الطاولة.

حل المساءُ سريعاً. عاد الرجل من عمله، أسقط فيها آخر قطعة، رفع الحصالة عن الطاولة، رجّها بين يديه، فلم يصدُر عنها أيُّ رنين. لقد امتلأت عن آخرها. أعادها إلى مكانها، وانصرف إلى مشاغله.

«ربما أجّل الأمر إلى يوم غد..» فكّرت الحصالة.

عاد مساء اليوم التالي من عمله، حاملاً معه حصالةً جديدة، وضعها بجانبها.

فرحَت بها كثيراً. لقد وجدت أخيراً من يشاركها الحياة!

«لو أنه يُبقي عليّ، ولو لبضعة أيام فقط، أتذوّق خلالها طعم الحياة مع شريك» تمنّت بحسرة. وقد تحققت أمنيتها فعلاً، إذ أبقاها بجانب الحصالة الجديدة من دون أن يمسسها.

غير أن الشراكة تلك لم تقع قط. فقد انشغلت الحصالة الجديدة عنها، مُذ أُسقِطت فيها أولُ قطعةٍ نقدية، بعدِّ أيامها المتبقيّة.

حافلةٌ عجوزٌ بلا أحفاد

تعرف حافلةُ المدرسة جميعَ طلابها. تعرفهم بوجوههم وأسمائهم. تعرف مَن المشاغبُ فيهم ومَن الخجول، ومَن المؤدب والكسول والنشيط والشرس. تحفظ مقعدَ كل واحدٍ منهم. وتنتبه من فورها إذا تغيَّب أحد.

في مواقف المدرسة، لو كنتَ من ذوات المحرِّكات، لاستطعتَ الاستماعَ إلى حديث الحافلات صباحَ كل يوم بعد ترجُّل الطلاب. وهي أحاديثٌ تشبه وشوَشات الأمهات في غرفة انتظار عيادة الأطفال.

في إحدى المدارس العريقة. في مواقفها تحديداً. كانت جميع الحافلات حديثةَ الصنع، باستثناء حافلةٍ عجوز، أبقى عليها صاحب المدرسة كنوعٍ من الوفاء، إذ كانت أولَ حافلةٍ تشتريها المدرسة. يُقال بأنّ عمرها تجاوز الخمسين. وهي حافلةٌ صفراء من فصيلة فورد ميركوري ام بي.

لم تكن عجوزُنا الصفراء ميركوري في زمن حكايتنا تحت الخدمة بكل تأكيد. كانت رابضةً في مواقف المدرسة العريقة للفُرجة وحسب، كهيكلٍ عظميّ لديناصور منصوب على بوابة متحف.

لم تكن العجوز تشارك الحافلات الشابات بأيٍّ من أحاديثهن. بل لم تكن حتى تلقي لهُنّ أذنيها، إذ كانت فيما يبدو قد سئمت الثرثرة والنميمة منذ زمنٍ بعيد.

في ظهيرة يومٍ ماطر، وبينما كانت جميعُ الحافلات في طريقهن لإعادة الطلاب إلى منازلهم، انتبهت إحداهن إلى اختفاء أحد طلابها. كان هذا الطالب شديدَ الخجل كثيرَ الانطواء على نفسه، فلم يتنبه أحدٌ سواها إلى غيابه.

لا أحد يعلم تماماً كيف استطاع التملصَ من طابور ركوب الحافلة، والتسللَ بخفة القطِّ إلى داخل العجوز ميركوري.

لم يكن بوسع التلميذ المتسلل رؤية ساحة المواقف الموحشة من خلال نوافذ العجوز المتلاصقة الغارقة بالماء. غير أن وقع المطر الشديد على حديد سقفها الطويل، كان كافياً لإثارة الرعب في نفسه.

كانت الحافلة العجوز تراقبه بخوفٍ أشد من خوفه. لم يكن قد مشى في ممرها الطويل طفلٌ منذ زمن بعيد. كان لوقع قدميه الصغيرتين أثر نقر أصابعَ على الظهر في حجرةٍ مظلمة.

لم تكن تعلم ما الذي يريده هذا الصبي. ولا كيف استطاع دخولها برغم بابها المقفل وشبابيكها الموصدة. ربما يكون شبحَ تلميذٍ كانت توصله قبل خمسين عام! فكّرت متوجسةً وقد استبدّ بها الرعب.

هل غادر التلميذ الحافلةَ العجوز بعد تلك الزيارة الغريبة من تلقاء نفسه، أم أنهم عثروا عليه بداخلها بعد أن فطنوا إلى اختفائه فأخرجوه منها وأعادوه إلى منزله؟.. بل هل غادرها أصلاً؟

في حقيقة الأمر، تلك كلها نهاياتٌ محتملة، بيد أن الحافلات لم تأبه يوماً بالنهايات مذ أدركت أن شقاء الدروب لا تمحوه النهايات أياً كانت مآلاتها.

لذا فإنك إن جلست للاستماع إلى حكاية حافلة، فعليك أن تصيخ السمع منتظراً بلوغ بدايتها.

تقول بداية الحكاية: في ظهيرة يومٍ ماطر، في مواقف مدرسةٍ عريقة، سمع التلميذ الانطوائيّ نداءَ سيدةٍ عجوز أتاهُ من جوف حافلةٍ قديمة:

«اشتقتُ إلى احتضان طفل».

واقعةُ اقتحام الكتاب الشريد لمنصة المشاهير

في المنصّة المخصصة للكتب الأكثر مبيعاً، جلست مجموعةٌ من الكتب ذائعة الصيت برخاوة المستلقي على شواطئ الكاريبي. لم يكن أيٌّ منها يكلم الآخر. كان كل كتاب ساهماً في مراياه النرجسية متأملاً نضارةَ اقتباساته وكياسةَ حياكته اللغوية وبراعة أفكاره.

بين الرفوف الخلفية، وقفت القارئة النحيلة وقد أمالت نفسها إلى الأمام فبدت بقميصها البنفسجي كساق الخزامى. كانت تتصفح أحدَ الكتب المغمورة حين تلقّت اتصالاً هاتفياً. «ألو» قالت بينما تسير باتجاه باب الخروج ناسيةً الكتابَ في يدها، ولم تفطن إليه إلا حين مرّت إزاء المنصّة تلك، فألقته بين الكتب الشهيرة، وغادرت المكتبة.

شهقَ أكثرُها شُهرةً فور أن وقعت عيناه على الكتاب الشريد. «ما الذي تفعله هنا؟ أجننت؟» صاح فوق رأسه. غير أن المسكين لم يحر جواباً. كان لسببٍ ما قد فقد وعيَه.

«هذا ما كان ينقصُنا! كتابٌ سكّيرا!» قالت روايةٌ هابطة بفمٍ متبرِّم.

«من الذي ألقى بهذا الوضيع بيننا؟!» رغا كتابٌ سمين من خمسمئة صفحة، كُتب في إهدائه: إلى الدمعة في ضحكة البسطاء.

«لهذا أكره أن أُباعَ في المكتبات! كان على دار النشر أن تقتصر بيعي عبر المواقع الالكترونية» قال مُتأففاً بصوتهِ الحاد، الكتابُ الأكثر مبيعاً بين المراهقين.

حاول كتابٌ بوليسيّ التحققَ من عنوان الكتاب الشريد، لكنه كان مكفوءًا على وجهه، ولم يكن في غلافه الخلفي أية إشارةٍ تدل على شخصيته. «لا أظن الأمرَ مجرد حادث. يبدو بأنّ أحدَهم قد تعمّد إسقاطه!» قال متفكراً بنبرةٍ خطيرة.

«على أحد العاملين في هذه المكتبة التحلي ببعض الطاقة الإيجابية، التي سيكون من شأنها، بلا ريب، أن تُفضي إلى تدخله في نهاية المطاف، لوقف هذه المهزلة العبثية» قال كتابٌ في التنمية البشرية بصوتٍ إذاعيّ جهور، مطلقاً صَفرةً خاطفة عند كل فاصلة.

نظر إليه شزراً كتاب الشعر المترجَم إلى اثنتين وعشرين لغة، ثم تنهد أخيراً وقال في شرود: «ليت هذا الكلب نباح»

«ماذا؟!» زعق كتابُ (النار والغضب) في وجه الشاعر.

ساد المنصة صمتٌ مفاجئ حين مُدّت إلى الكتاب الشريد يدٌ عابقةٌ برائحة الورق العتيق أيقظته من إغماءته.

«أخيراً عثرتُ على كتابٍ يستحق الوجود على هذه المنصة!» قال مأخوذاً بفتنته بينما يتصفحه.

هبوطٌ اضطراريّ لطائرةٍ ورقية

بعد انفلات خيطها من يد الطفل، لم تجد الطائرة الورقية سماءً آمنة، فعادت إلى أحلامه.

أحلامُ الآلة الكاتبة

لم يكن أيٌّ من أحلامها الغريبة مفروضاً عليها. كانت تصوغُ بنفسها حُلمَ كل ليلةٍ قبل أن تنام.

كانت كلما غرسَ الشاعرُ في فمها ورقةً جديدة، تجتاحها رائحة الغابات، فتأخذ نفساً عميقاً، وتمدُّ حروفها إليه، كما تمدُّ لعشيقها امرأةٌ عمياءُ أصابعَها النحيلة.

تقودها كلماته في كل مرةٍ إلى عوالم جديدة. غير أنها عوالم عادية، لم تجد فيها يوماً أي شيءٍ غريب.

بعد أن يُنهي الشاعر كتابة قصيدته، يسحب الورقة من فمها، فتنطفئ رائحة الغابات، وتسري القشعريرة في حروفها الباردة.

يخلد الشاعر إلى فِراشه بعد مراجعة القصيدة، فتبدأ الآلة الكاتبة في الغرفة المعتمة، بصياغة الحُلم الغريب.

استيقظ الشاعر مفزوعاً ذات ليلة، أشعل ضوء الغرفة وهُرع إلى الآلة الكاتبة، وسحب من فمها القصيدة التي لم يُكملها.

«كان مجرّدَ كابوسٍ لعين!» حدّث نفسه بينما يلتقطُ أنفاسَه. وضعَ الورقة على الطاولة، أطفأ ضوءَ الغرفة، وعادَ إلى فراشه.

في الغرفة المعتمة، صار بوسع الآلة الكاتبة، أن تبدأ الآن بتشويه القصيدة، لصياغة الحلم الغريب، غرابةَ عمائها الأزليّ.

النيزك الذي لم يشاهد نشرة الأخبار

قال النيزك الذي سقط في البحر واستقرَّ في أعماقه:

«ما ألطف سكان هذا الكوكب، لولا هذه الكائنات التي تحمل أنبوباً على ظهرها!».

وشمٌ على ظهر الحقيبة

طوّقها رجالُ الأمن في لحظات، واستدعوا من فورهم فريقَ مكافحة المتفجرات.

لم تفهم شيئاً من كل هذا. كان الوشمُ على جلدها صريحَ الدلالة: «رحلة سعيدة». فلم يكن عليها إذن سوى التحلي ببعض الصبر، ريثما يحين موعد رحلتها السعيدة تلك.

وها قد بدأت نبوءة وشمها أخيراً بالتحقق. فها هي الآن في طريقها إلى المطار، وقد مُلئ بطنُها بالملابس بعد طول خواء.

لم تُصدِّق الشكَّ الذي اعتراها حين سار صاحبها بها بخطىً كئيبة داخل المطار. «ربما لم ينتبه للوشم بعد» فكّرت.

توقف فجأةً، أنزلها عن كتفه، وضعها على الأرض، وعاد أدراجَه.

«يبدو بأنّ فكرة الرحيل قد أثارت الذعرَ في قلبه فور أن دخل المطار» قالت لنفسها حين تخلى عنها. «ولا يُلام في هذا، فالأفكار بلا وشوم» فكّرت.

إن الذي أثار حيرتها حقاً، بل وجعلها تكفر بنبوءة وشمها الشخصي، لم يكن إرجاء رحلتها السعيدة إلى أجلٍ غير مُسمّى. إنما كيف استطاع الوشمُ على قميص (أمن) المطار، أن يُثير كلَّ هذا (الرعب) فيها.

كوكبٌ يدور حول نفسه في زجاجة الساعة الرملية

قُلبت الساعةُ الرملية بعد أن عثرت عليها بعثةٌ أثرية.

كان الزمن قد توقف فيها منذ مئات السنين، وها هو الآن يجري في زجاجها من جديد.

لا شيء تغيَّر. حبّاتُ الرمل لم تزل دقيقةً جافة. ولم يزل حلقُ الزجاجة أملساً، يعُبُّ الوقتَ بشراهة سكّيرٍ تليد.

في المتحف الوطني، أجلسوها على حجرٍ رخاميٍّ صقيل أسود اللون، بعد أن قُلبت للمرة الأخيرة من أجل مُتعة المدير الذي شهِد بنفسه مراسمَ انضمامها الرسميّ إلى بقية المعروضات في متحفه.

ها هي آخرُ جولةٍ للوقت تجري الآن في زجاجها على حجر الرخام.

ساعةٌ واحدة، ويتوقف الزمان فيها إلى الأبد.

نصفُ ساعة

ربعُ ساعة

خمسُ حبات رمل .....

أربع حبات ....

ثلاثة ...

حبتان ..

مرّت ساعةٌ كاملة، إلا حبةُ رمل.

لم تسقط حبة الرمل الأخيرة. ظلت ملتصقةً بجدار الحُجرة العلوية، ليظل الزمن مُعلقاً في الساعة الرملية إلى الأبد.

لو زرتَ يوماً ذلك المتحف، ورأيت ساعةً رمليةً أُجلِست على حجرٍ من الرخام الأسود، فكن على حذرٍ شديد، وإياك أن تلمسها. فحبة الرمل الدقيقة تلك إذا سقطت، سيكون لها أثرُ اصطدام كوكبٍ بالأرض.

كوكب الانتظار.

السكاكين لا تدخل السجن

اشتركت مُديته في جميع جرائمه. وفي لحظة اعتقاله، كانت تُقشِّر برتقالةً في يده.

كسرٌ مُضاعف في الدوّاسة اليسرى

لم يكن جنزيرُها على ما يرام في ذلك اليوم. كانت تدرك هذا جيداً، لكن ما من سبيل لديها لتنبيه قائدها.

أُطلقت رصاصة البدء إذن لتبدأ العدوَ بقائدها رغماً عنها.

لو كانت فرساً لتمنّعت، بل وربما ألقته عن ظهرها على خط البداية كي تحمي نفسها من الخطر المُحيق. لكنها ليست سوى آلة، والآلات كالعبيد، ليس لها سوى الإذعان.

انطلقت بقائدها إذن، ومع كل دورةٍ لدوّاستيها كانت مسنناتها تزداد اختلاجاً، كقلب امرئ ألمَّ به الهلع.

استطاعت أن تتقدم الجميعَ كعادتها، لكن هذا لم يكن كافياً لطمئنتها، إذ كانت على يقين بأن مكروهاً ما سيقع قبل أن تتمكن من بلوغ خط النهاية.

بدا لها المضمار الذي اعتادت التسابق عليه لا نهائياً. لو كان بوسعها التحكم بسرعتها لنهبت الإسفلت نهباً بعجلتيها اللاهثتين.. لا طمعاً بالفوز، فذاك من طبع البشر، إنما هو توقها إلى الخلاص قبل وقوع الكارثة.

عند المنعطف الأخير، لاحت لها مركبةٌ بيضاء من التي تحمل الدراجات الاحتياطية فوق سقفها. كانت المركبة سائرةً بالهوادة اللازمة، وكانت بعيدةً عنها بما يكفي لتجنبها، لولا انقطاع الجنزير في اللحظة الحاسمة، فاندفعت الدارجة نحوها بكامل سرعتها، ووقع الاصطدام المريع.

بعد أسابيع ثلاثة. دخل عليها الكراجَ مدفوعاً على كرسيّ متحرك.

كانت آثار الكدمات لم تزل تُرى على وجهه. لُفّت يدُه اليمنى بجبيرة عند الرسغ، بينما كانت ساقه اليسرى ملفوفةً بضمادٍ سميك من أعلى قدمه إلى ركبته.

تأملها بعينيه القاسيتين. لقد لحق المقودَ ضررٌ كبير، وكذلك الدواسة اليسرى والعجلة الأمامية.

سأل شقيقه أن يناوله الجنزيرَ المقطوع. شدَّ عليه بيده السليمة، شدَّ عليه كثيراً وكأنه يحاول خنقه، قبل أن يُلقيه بجانبها من جديد.

«أيها الكرسيّ...» هتفت الدراجة المحطمة للكرسي المتحرك بينما يلتفُّ مغادراً بقائدها.

«هل تستطيع إلقاءه عن ظهرك؟».

الثلاجة المسكونة

يفتح ثلاجته، فيشتعل الضوء بداخها. يُقلِّب عينيه الذاويتين في رفوفها الخاوية. يُغلق بابها، فتُبقي الضوءَ بداخلها مشتعلاً، لتصرف عن رفوفها أشباحَ جوعه.

منبّه بلا نوابض

يقفُ المنبّهُ الرقميّ أعلى شاشة الهاتف بتحفُّز حارسٍ ليليّ.

لا يشبه الانتظارُ فوق رفٍّ افتراضي، بأي حالٍ، الانتظارَ على طاولةٍ خشبية بجانب السرير. لطالما تمنى المنبه الرقميّ أن يعيش حياةَ أسلافه، أن يحمل جرسين حقيقيين على رأسه، وأن يكون له جوفٌ ميكانيكيٌّ مكتنزٌ بالنوابض والمسننات.

لقد أخبرته أيقونة Google التي تسكن أسفل الشاشة بكل ما أراد معرفته من سيرة أسلافه. ومنذ ذلك الحين، وهو يحلم بأن يكون منبهاً حقيقياً، لا مجردَ أيقونةٍ مسطحةٍ جوفاء بلا نوابض.

تعاظمت خواطره الحالمة وازداد شروده يوماً إثر يوم، إلى أن صار يسهو عن إيقاظ صاحبه العجوز.

«منبِّهُ الهاتف جزءٌ من نظام تشغيله الأساسي، ولا سبيل إلى إصلاحه سوى بإعادة ضبط الجهاز إلى إعدادات المصنع» قال خبير الصيانة.

«لا. شكراً لك. لستُ مضطراً لإعادة ضبط شيء» أجابه العجوز بينما يستعيد هاتفه.

صباح اليوم التالي، فتح العجوز عينيه، وابتسم للمنبه ذي الجرسين فوق الطاولة ابتسامةً لم يرها منه هاتفه يوماً.

ربما كانت ابتسامةَ امتنانٍ لمنبهه القديم الذي وجده لم يزل مستعداً لخدمته بعد كل تلك السنين من الهجر.

أو لعلها ابتسامةُ حنين.. إلى صوت نوابضه.

١٥٠ منديل أبيض مزدوج

تغادر المناديلُ الورقية علبتها، كحمائم سلامٍ بيضاء فردَت جناحيها وطارت فوق أسوار المدينة.

يُطلُّ من خوائها آخرُ المناديل، كراية استسلامٍ نُصبت على بوابة السور.

قفازُ ملاكمةٍ في كيس تسوّقٍ ورقيّ

نزع الملاكمُ قفازيه فور إعلان فوزه، وألقاهما للجماهير المهتاجة، فالتقطت امرأةٌ عجوز أحدَ الزوجين، واحتضنته من فورها كي لا ينازعها عليه أحد.

«كم سيفرح بهذه الهدية!» فكّرت العجوز بابتهاح، بينما تتخيل السعادة على وجه زوجها الملاكم السابق.

وجد القفاز نفسه مدسوساً، إذن، بين يديها الذاويتين ووجهها المتغضن الصغير، بعد أن كان قُبيل لحظات قد أردى رجلاً بشراسة خنزيرٍ برّيّ بالضربة القاضية.

كانت حقيبة العجوز صغيرة جداً، ما اضطرها إلى وضع القفاز في كيس تسوّقٍ ورقيّ اشترته فور أن غادرت نادي القتال.

على أحد المقاعد المخصصة لكبار السن، جلست العجوز في الحافلة وقد وضعت كيس التسوق إزاء قدميها.

كان الطريق إلى منزلها طويلاً.

طويلٌ بما يكفي لجعلها تتذكر أن زوجها قد مات منذ أربعين سنة إثر ضربةٍ قاضية.

وما يكفي أيضاً لجعل القفاز يتمنى، وهو في كيس التسوق ذاك، لو أنه مجرد ثمرة باذنجان كبيرة، يتقاسمها الزوجان على العشاء.

مأساة مظلة

مظلة الفندق التي احتفظ بها أحدُ النزلاء بعد أن أعجبته ألوانها الدافئة، لم تكن قد جرّبت من قبل عذوبة أن تقضي شتاءً كاملاً بصحبة رفيقٍ واحد.

ولم تكن قد جربت أيضاً، مرارةَ أن تُرمى بين الثياب البالية، فور انتباهه إلى شعار الفندق المطبوع عليها.

باب الآنسة

كانت المستأجرة الجديدة تخشى الغرباء حدَّ العماء، فطلبت من النجار أن يركّب عيناً سحريةً لباب شقتها.

كان الباب الخشبي قد أمضى حياته ضريراً قبل أن يُمنح تلك العين. صار الآن بوسعه رؤية أصحاب الأيدي التي تطرقه. لقد وجد في أشكال الناس الكثير من الطرافة، إذ كان يظن قبلاً أن الإنسان مجردَ يدٍ تمشي على قدمين.

لقد تعرَّف أيضاً على الكلاب، والقطط، وعربات الأطفال، وأكياس التسوق، ولفائف الصحف، وزجاجات الحليب التي توضع كل صباحٍ على عتبته. والأهم من كل هذا، أنه استطاع أخيراً التعرف على شكله من خلال رؤيته لباب الشقة المقابلة.

لو أن الآنسة تمنحني فماً، كي أستطيع التحدث إليه! فكّر بينما يتأمل الباب الضرير قبالته.

ولو يُمنح هو الآخر فماً كي يردَّ بدوره عليّ..

يحتاج كلٌّ منا إلى أذنين أيضاً وإلا لكان حديثنا بلا فائدة. وكم سيكون امتلاك قدمين أمراً رائعاً، فعندها سيكون بمقدورنا التمشي في الردهة بينما ندردش، أو حتى نزول الدرج والتعرف على العالم الغامض الذي ينتظرنا خارج المبنى. سنحتاج حتماً إلى يدين كي نحمل الأكياس عند عودتنا كما يفعل السكان.

قد أرافق الآنسة أيضاً في بعض مشاويرها. ألستُ باب شقتها؟ وربما تبادلني الإعجابَ ذات يوم، فتُسكنني معها، وتضع بدلاً مني على شقتها باباً عادياً كهذا المسكين الذي لا يملك حتى مجردَ عين.

كم سيكون أمراً ممتعاً لو..

هنا تقدم نحوه رجلٌ غريب، طرقه طرقتين.

الطرقة الأولى أيقظت الباب من أحلامه. الطرقة الثانية أرعبته.

بات يخشى الغرباءَ حدَّ العماء.

الملف الصحيّ لجهاز الضغط الألماني

لم يستطع جهاز قياس الضغط الألماني أن يفهم ما الذي دفع بهذا الرجل إلى شرائه. فهذه عاشر قراءة يأخذها له على مدار خمسة أيام، وجميعها كانت مثاليةً تماماً.

إنّ ثبات ضغط دم المستخدم على قراءة واحدة، إذا ما استمرّ، فمن شأنه أن يسبب الضجر لأجهزة القياس بلا ريب، وقد يؤدي إلى ارتفاع ضغطها شخصياً في حالة الأجهزة الصينية. لذا فقد بدأ الجهاز الألماني يفكر بشكلٍ جدّيّ بحيلةٍ ما، تُخلصه من هذا المستخدم الرياضيّ إلى الأبد.

لو كان جهازاً يدوياً لاستطاع ربما التلاعبَ بكثافة زئبقه، ليجبر الرجلَ على إرجاعه إلى الصيدلية بسبب تخبّط قراءاته. لكنه جهازٌ رقميّ، ولا سبيل للتلاعب بالمصفوفات الرقمية أبداً. إنها اختراعٌ عصريٌّ لعين، مُحكمٌ بالخوارزميّات!

«يبدو أن التخلص منه أمرٌ مستيحل» قال الجهاز الألماني لنفسه باستسلام نهائي.

«عليَّ البحث عن هوايةٍ أخرى غير مراقبة ضغط دمه» فكّر الجهاز الألماني الذي كان قد اعتاد، كبقية الأجهزة، أن تكون هوايته الوحيدة هي مهنته. ولأن عضلات الرياضي هي أكثر ما يتطور من بين أعضاء جسده، اتخذ الجهاز الألماني أخيراً من مراقبة نمو عضلة زند مستخدمه هوايته الجديدة.

نصف إنش.. ثلاثة أرباع.. إنشٌ كامل.. إنشان!

لم يتوقع الجهاز الألماني أبداً أن يكون الأمر بكل هذه الإثارة. لقد شكر حسنَ طالعهِ كثيراً على عدم ابتلائه بمستخدمٍ عليل. فها هو الآن يتابع تضخُّمَ عضلة صاحبه الرياضيّ

بحماسة المدرب الشخصيّ، بل إنه بات يصرخ مهللاً مع كل إنشٍ جديد: عاش الوحش! عاش!

انقطع المستخدم فجأةً عن قياس ضغط دمه. ظل الجهاز الألماني مطفأً زمناً طويلاً. وعندما أُعيد تشغيله من جديد، تفاجأ بزندٍ هزيل، وضغط دمٍ مرتفع.

لم يعلم ما الذي حدث على وجه الدقة، لكنه أدرك على الأقل، بأنّه قد أصبح الآن في خدمة مستخدمٍ جديد، وأنّ عليه العودة إلى ممارسة مهنته كسائر الأجهزة بلا هواياتٍ جانبية:

١٤٠ / ١٠٧ ما أخشنَ كُمّ قميصه!

١٥٢ / ١١٨ رائحة إبطه لا تُطاق!

١٦٧ / ١٢٣ ما كل هذا الشعر المقرف في زنده؟!

هذه عِيشةٌ ترفعُ الضغط!

ليلةٌ عصيبة في حياة سجادةٍ عجميّة

على ضوء كشافٍ صغير، لُفِفتُ وحُمِلتُ على كتف رجلين مُقنّعين، هروَلا بي إلى خارج القصر وألقياني فوق بقية المسروقات في مقطورة الشاحنة المتأهبة للفرار من أمام البوابة. لكنني سرعان ما غادرتُ قائمة الغنائم الثمينة تلك عند أول مطب اصطناعي وطئته الشاحنة الهاربة. حسناً.. ربما يحق لكم أن تتوقعوا تدحرُجي على الإسفلت بعد القفزة البهلوانية التي أديتها ببراعة محارب نينجا. غير أني، والحق يُقال أيها السادة الأشياء المحترمون، لم أفعل! بل انبسطتُ في عرض الطريق انبساطةً كاملة. ربما ظنته صالةَ القصر الجديد.. أقول لنفسي الآن بينما أفكر بالأمر.

لا شك بأن المركبات التي لم يجد سائقوها بُدًّا من المرور فوقي، قد سرّها السيرُ على سجادةٍ عجمية باهظة الثمن.

أكاد أسمع تحسُّر تلك الصفائح البائسة قائلةً، وقد وطئتني بعد أن شققت خشونةُ الإسفلت عجلاتها: «لو تُفرش الشوارع كلها بمثل هذه السجادة الناعمة!».

أما أنا، فلكم أن تتخيلوا، يا حضرات، كم كانت تلك الليلة عصيبةً على سجادةٍ عجميّةٍ مثلي، أمضت حياتها مستلقيةً على رخامٍ صقيل، ولا تُداسُ إلا بأفخر الأحذية اللامعة، في صالةٍ هفهافةٍ، في ذلك القصر المنيف.

هئ هئ هئ .. حسناً، لا يهم! ليست نهاية العالم بكل تأكيد، فلم تكن سوى ليلةٍ واحدة..

أخبروني إذن، ما نوع المكنسة الكهربائية المخصصة للسجاد العجميّ في هذا الكوخ؟

إلى ابنتي تالا،

صديقتي التي كانت تظن في طفولتها

أن العبارة المكتوبة على المرآة الجانبية بيتُ شعر

1. الغلاف
2. معجم الأشياء
3. مقدمة
4. المرآة الجانبية التي تحب الشعر
5. الهواجس الأمنية لمنفضة السجائر العمومية
6. حبسُ جريدتين
7. ما قالته قائدة الكتيبة لمجنداتها في علبة السجائر
8. قلادةٌ في الدرج البعيد
9. هاتريك
10. فُرشاة الأسنان لا تحفلُ بطعم المعجون
11. حنينُ مدفأة
12. الحالة الجوّية لمشاعر مسّاحتين
13. اللوحة التي لم تقابل تمثالاً من قبل
14. الهاتف المحمول الذي فقد ذاكرته
15. الأحلام الوردية للقميص الأبيض
16. خمسُ شقيقاتٍ على الرف ليلة التنزيلات
17. مين شاف الريموت؟
18. الكرسيُّ الذي فقد أحدَ أرجله بسبب ضيفٍ سمين
19. الخطاف الذي لم يبتلعه العدم
20. الملهاة المقشّية
21. ما لم تحسب الآلةُ الحاسبةُ حسابَه
22. الصابونة التي عرفت كلَّ شيء
23. القلم والممحاة
24. مسرح الظلال لمنشر الغسيل

25. السيرة الذاتية لملعقة
26. يومُ انكسار المزهرية الحزين
27. الحالةُ الخاصة للشاخصة الزرقاء
28. ما لم ترَهُ مطفأة الحريق
29. الحياة الليلية في خزانة الملابس الرجالية
30. عذاباتُ وسادة
31. هشاشة الورق
32. عمودُ الإنارة وقطهُ الأسود
33. الدبّاسة التي تمنّت أن تكون تمساحاً
34. ما وقعَ للإطار على طريق المطار
35. تعذيبُ عملةٍ ورقية
36. بقبقاتٌ على أنغام أم كلثوم
37. الولاعةُ القاتلة
38. هالةٌ سوداء تحت منظار البندقية
39. اعتزالُ صافرة
40. آخرُ ما استطاع الميكروفون التقاطه
41. جيتارٌ تحت ثلج المدينة
42. غثيانُ جرّافة
43. اعتقال شهادةٍ ترتدي بروازاً أحمر
44. التقويم النقدي لروزنامة الحصّالة
45. حافلةٌ عجوزٌ بلا أحفاد
46. واقعةُ اقتحام الكتاب الشريد لمنصة المشاهير
47. هبوطٌ اضطراريّ لطائرةٍ ورقية
48. أحلامُ الآلة الكاتبة
49. النيزك الذي لم يشاهد نشرة الأخبار

50. وشمٌ على ظهر الحقيبة
51. كوكبٌ يدور حول نفسه في زجاجة الساعة الرملية
52. السكاكين لا تدخل السجن
53. كسرٌ مُضاعف في الدوّاسة اليسرى
54. الثلاجة المسكونة
55. منبّه بلا نوابض
56. ١٥٠ منديل أبيض مزدوج
57. قفازُ ملاكمةٍ في كيس تسوّقٍ ورقيّ
58. مأساة مظلة
59. باب الآنسة
60. الملف الصحيّ لجهاز الضغط الألماني
61. ليلةٌ عصيبة في حياة سجادةٍ عجميّة